

مسجد سيدي عون العتيق في واد سوف ودوره الديني والاجتماعي (1962-1934)

The ancient Sidi Aoun Mosque in Oued Souf and its religious and social role (1934-1962)

د/ سفيان صغيري

Soufiane SEGHERI

كلية العلوم الشرعية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

مخبر اسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الاسلامية

seghieri-soufaine@univ-eloued.dz

تاريخ القبول: 2024/06/27

تاريخ الإرسال: 2023/05/12

الملخص:

سوف نتناول في هذه الورقة البحثية نبذة عن تاريخ مسجد سيدي عون العتيق بواد سوف، من حيث التأسيس والعمارة، وابرار دوره الاجتماعي في عمارة المنطقة ووحدة ساكنيها، واسهاماته في الدعوة والاصلاح، وكذا دوره الديني في الحفاظ على القيم الدينية والانسانية للمجتمع، ودوره التعليمي والثقافي، من خلال الأئمة الذين تعاقبوا عليه من رجال العلم والصلاح، ومواكبتهم للأحداث التي مرت بها بلدة سيدي عون، وخطابهم الديني الاصلاحى في كل المناسبات الدينية والاجتماعية، منهم بالخصوص الشيخ العربي بن عمار العوني، والشيخ علي طويل، وابنه الشيخ الطاهر طويل، وذلك عبر المراحل التي مر بها منذ تأسيسه الى ما بعد الاستقلال.

الكلمات المفتاحية: سيدي عون؛ المسجد العتيق؛ الدور الديني؛ العربي بن عمار .

Abstract:

In this paper, it deals with an overview of the history of The ancient Sidi Aoun Mosque in Oued Souf, in terms of foundation and architecture, its social role in the architecture of the region and the unity of its inhabitants, its contributions to advocacy and reform, as well as its religious role in preserving the religious and human values of society, and its educational and cultural role, through the imams who They followed him from men of knowledge and righteousness, and their keeping up with the events that the town of Sidi Aoun went through, and their reformist religious discourse on all religious and social occasions, among them in particular Sheikh Al-Arabi Bin Ammar Al-Awni, Sheikh Ali Al-Taweel, and his son Sheikh Taher Taweel, through the stages he went through since its founding until after independence.

Key words: Sidi Aoun; The ancient mosque; Religious role; Al-Arabi Bin Ammar.

مقدمة:

ارتبطت الحواضر والبلدات في سوف بالمساجد العتيقة التي تأسست بها، باعتبارها اللبنة الأولى لعمارة المنطقة بالسكان المستقرة والمتنقلة، فلم تكن مجرد مكان للعبادة فقط، بل كانت عبارة عن مؤسسات دينية واجتماعية تحت رئاسة الامام الذي كان يحظى بمكانة قيمة وقديسية دينية، فهو الشيخ والمربي، فكان يطلق عليه باللهجة المحلية " العم سيدي" فهو الذي كان يؤم الناس في صلاة الخمس، ويقوم خطب الجمعة والأعياد، وهو المشرف على العقد الشرعي في الزواج، وهو الذي يؤم وينعي الميت، وهو صاحب الرأي والمشورة، وهو القاضي الشرعي في الخصام واصلاح ذات البين.

وكغيره من مساجد سوف، لعب المسجد العتيق بسيدي عون دورا دينيا واجتماعيا مهما في البلدة التي نشأت من خلاله، باعتباره أول العمران بها خلال القرن 18م، وفي هذه الورقة البحثية سوف نتطرق لنشأته وعمرانه، ونتعرف على أدواره الدينية والاجتماعية والتعليمية في البلدة العتيقة، من خلال الأئمة الذين مروا عليه ووقفوا على منبره، وتطوره عبر الزمن، ونخص بالذكر الشيخين العربي بن عمار وعلي طويل، وعليه سوف نتناول المواضيع التالية:

1. المساجد العتيقة بسوف.
 2. تأسيس المسجد العتيق بسيدي عون (النشأة والعمران)
 3. أهم الأئمة الذين مروا عليه.
 4. دوره الديني والاجتماعي والتعليمي.
- اعتمدنا في تحرير هذه الورقة البحثية على الروايات الشفوية لشيخوخ المنطقة وساكنتها، وكذلك على ما دون من بحوث وكتابات حول البلدة وشيوخها.

1- المساجد العتيقة بسوف:

يقصد بالمساجد العتيقة المساجد الأثرية والتاريخية المصنفة أو المقترحة للتصنيف بالنظر لمميزاتها التاريخية، نظرا لأصالتها وطول عمرها¹، والمسجد بشكل عام هو عبارة عن مؤسسة دينية للعبادة ونشر العلم بالإضافة إلى تمتين الروابط الاجتماعية ومناقشة وحل قضايا المجتمع وفق مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة²، وهو بيت الله - عز وجل -، الذي أضافها إلى نفسه إضافة تعظيم وتشريف، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: 16)، و(المسجد... هو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم، هو بيت الأتقياء، ومكان اجتماع المسلمين يوميا، ومركز مذكراتهم، ومحل تشاورهم وتناصحهم، والمنندى الذي فيه يتعارفون ويتألفون، وعلى الخير يتعاونون، منه خرجت جيوشهم ففتحت مشارق الأرض ومغاربها، وإليه يرجع مسافرهم أول ما يرجع، فيه يعزي المسلم أخاه المسلم إذا أصابه مصاب، وفيه يهنئ المسلم إخوانها بأفراحهم ومناسباتهم السارة، منه يتخرج العلماء، وفيه كان الجرحى يمرضون، وبأسواره كان الأسرى يربطون، وفي رحابه كان التقاضي والقضاء ومحاسبة الخلفاء، فهو ملتقى الأمة وناديتها، وجامعتها، ومكان شوراها)³.

تنتشر في بلاد سوف وحواضرها القديمة والحديثة العديد من المساجد الأثرية العتيقة، وتكاد كل قرية لا تخلو من مسجد عتيق، التي لا تزال قائمة بغض النظر عن وضعية عمرانها أو عمارتها، أو طبيعة نشاطها الحالي، وهي تنسب في العادة إلى المدن والأحياء التي تشيد بها وأيضا إلى أصحابها الذين ساهموا في بنائها من أموالهم الخاصة ويكونون في العادة من أشراف البلد أو الأولياء أو المتصوفة

مسجد سيدي عون العتيق في واد سوف ودوره الديني والاجتماعي (1934-1962)

والدعاة، وحتى من كبار المسؤولين أحيانا، على غرار ما قام به العديد من الأولياء والمتصوفة الذين خلدوا أسماءهم في المساجد التي أسسوها⁴.

ولقد تميزت أغلب المساجد العتيقة بسوف بنسبتها الى الأولياء والمتصوفة والدعاة الذين وضعوا اساس عمارتها الأولى والتي ارتبطت بأسمائهم حتى بعدما تغير نمط عمرانها الأصلي وتطور تصميمها، او تغيير شكل بنينها بعد اعدته كليا أو ترميمه وتجديده على نمطه الأصلي، ومن هذه المساجد نذكر على سبيل المثال لا الحصر مسجد الشيخ العدواني ببلدة الزقم الذي يعتبر من أقدم المساجد وأعرقها في سوف إن لم نقل أولها تأسيسا، وذلك حسب العديد من المصادر المحلية والروايات الشفوية⁵، رغم اختلافها في تحديد زمن البناء الأول الذي تراوح بين القرنين 13م و16م وتقول الروايات أن المسجد الذي أسسه الشيخ محمد العدواني بني على قواعد آثار مسجد قديم في المنطقة لا يعرف تاريخه بالضبط⁶ بعد أن كان عبارة عن مصلى صغير سنة 1560م، ويأتي بعده مباشرة في القدم المسجد العتيق بتاغزوت الذي بني بعده بسنتين أي سنة 1580م⁷، وقد أسس داعية الشابية⁸ الشيخ محمد المسعود الشابي⁹ عدة مساجد تعرف باسمه الى اليوم وهي مسجده بقمار الذي بني سنة 1597م، والمسجد الثاني بمدينة الوادي سنة 1600م، إضافة الى عدة مساجد عتيقة أخرى منها مسجد التلمود¹⁰ بكوينين سنة 1634م¹¹، ومسجد الشريعة بقمار الذي أسسه أحد أحفاد الشابي وهو محمد الصغير بن علي الشابي سنة 1674م¹²، وغيرها من المساجد التي يزيد عددها عن الخمسين مسجدا كما يوضح هذا الجدول:

المسجد	تاريخ التأسيس	المسجد	تاريخ التأسيس
مسجد العدواني (الزقم)	1560م	مسجد القوايد (كوينين)	1795م
المسجد العتيق (تاغزوت)	1580م	المسجد العتيق (العقلة)	1800م
مسجد المسعود الشابي (قمار)	1597م	مسجد قشير (قمار)	1805م
مسجد المسعود الشابي (الوادي)	1600م	مسجد عبد القادر (الوادي)	1810م
مسجد المراغنية (الرياح)	1629م	المسجد العتيق (المقرن)	1816م
مسجد التلمود (كوينين)	1634م	مسجد الفطاحزة (البياضة)	1818م
مسجد أولاد المسعود (البهيمه)	1650م	مسجد سيدي سالم (الوادي)	1830م
مسجد زاوية ليمام (الرياح)	1650م	مسجد ضواي روجه (الوادي)	1830م
مسجد سيد علي بن خزان (الدبيلة)	1666م	مسجد الظهارة (كوينين)	1836م
مسجد بيت الشريعة (قمار)	1674م	مسجد زاوية أحمد بن سليمان	1840م
مسجد أولاد خليفة (الوادي)	1700م	مسجد بلقاسم بلعجال (الوادي)	1841م
مسجد الباب الغربي (كوينين)	1700م	مسجد الدويرة (ورماس)	1850م
المسجد العتيق (سيدي عون)	1741م		
مسجد الظهارة (الوادي)	1750م	مسجد تكسبت العتيق	1854م
مسجد القرافين (البياضة)	1760م	مسجد الشرقية (حاسي خليفة)	1858م
مسجد إبراهيم بن سعد (قمار)	1771م	مسجد النخلة الغربية	1860م
مسجد بير الفصيل (كوينين)	1777م	مسجد الحاج بنسالم (البياضة)	1860م
مسجد أولاد مبروكة (البياضة)	1780م	مسجد علي دربال (الرياح)	1870م
		مسجد سي موسى (الوادي)	1870م
مسجد الزاوية التجانية (قمار)	1789م	مسجد العزازلة (الوادي)	1872م
مسجد أولاد حمد (الوادي)	1790م	مسجد الغربية (حاسي خليفة)	1874م
مسجد الإخوان القبلاوي (كوينين)	1792م	مسجد أولاد تواتي (الوادي)	1878م

2- تأسيس المسجد العتيق بسيدي عون:

1-2- التسمية والنشأة والعمران: مسجد سيدي عون العتيق أسسه الولي الصالح سيدي عون بن أحمد الراشد بن عون الحسني الإدريسي من أشرف المغرب المتوفي سنة 1782م، والذي نزح إلى المكان المسمى باسمه شمال مقر ولاية الوادي مسافة 25 كلم¹³.

تذكر الروايات الشفوية أن البناء الأول للمسجد كان قبل ذلك التاريخ بسنوات باعتبار أن سيدي عون الأصغر المؤسس قد انعزل وانزوى في ناحية بعيدة عن عمران اللجة¹⁴، واستقر في منطقة منعزلة وحفر بها بئرا وأنشأ بها بيتا بسيطا باستعمال المواد المحلية من جبس وجذوع النخيل به غرفتين بقبنتين له ولعائلته (حوش)¹⁵ وسقيفة استعملها كمسجد صغير (مصلى)، ثم أعيد بناء المسجد على شكله الحالي في عهد شيخ¹⁶ بلدة سيدي عون في ذلك الوقت الشيخ سي علي بن عبد الله حساني (ت 1947م)¹⁷، الذي أشرف على إعادة بناء المسجد العتيق في حي الظهراوية¹⁸ الحالي ووجه نداه إلى سكان البلدة الذين لبوا النداء وتعاونوا على بنائه عن طريق العوانة¹⁹ وجمعوا جذوع النخيل لصناعة الأعمدة، وقام ببناء الجامع بناء اسمه محمد بن خليفة دبيلي من الدبيلة²⁰ حيث بنيت له قبة كبيرة وبرطال²¹ صغير من غير صومعة، وغرفتين للقطران وتسخين الماء للميضاة، كان ذلك سنة 1934 وافتتح سنة 1936م، وقد الحق الضريح به²²، قبل أن يستكمل بإنشاء مئذنة مربعة وسباط للمسجد بعد الاستقلال، ثم تمت عملية أخرى لترميم المسجد وإضافة توسعة جديدة في الجهة الشمالية وتم بناء سور فاصل بين الضريح والمسجد وإعادة بناء قبة جديدة مسورة للضريح في بداية الألفية الثانية، وأخيرا تم ترميم السباط وعمل بلاط جديد وإعادة بناء ميضاة جديدة وأنشأت أمامه مدرسة قرآنية في السنوات الأخيرة.

2-2- أهم الأئمة الذين مروا عليه: أول من أسس المسجد هو الشيخ سيدي عون بن أحمد الراشد بن سيدي عون الأكبر الحسني الإدريسي خلال القرن 18م، وأتخذ مصلى ومكانا لاستقبال ضيوف الزاوية العونية في بدايتها، فرغم أنه لم يكن بالعالم ولا بالفقيه مثل جده الأول إلا أنه كان داعيا إلى الله وشيخنا ورعا وولي صالح اجتمعت عنده الكلمة والمشورة²³، وخلفه في الإمامة والتعليم أصهاره من ذريته من أشرف أولاد عبيد العوانية²⁴ الذين اشتهروا بالعلم والدين، ومن العلماء والفقهاء وحفاظ القرآن الكريم الأوائل الذين نشؤوا في الزاوية نذكر منهم سي عمار، وسي سالم بن عمار، وسي عباس، وسي صالح، وسي أحمد، وسي بلقاسم بن ابراهيم.

كذلك تولى الإمامة بالمسجد من عرش العوانية العلماء من أولاد سي عمار بن عمار المشهور بـ بوسكاية²⁵، وذلك قبل تجديد المسجد العتيق بين سنتي (1934-1936م)، حيث تولى بعدها عدة أئمة منهم سي أحمد بن عمار/ وسي أحمد العيد حنافي حتى جاء الشيخ العربي بن سي صالح المعروف بالعربي بن عمار صالح، ليخلفه الشيخ الفاضل سي علي طويل الذي خلفه ابنه الشيخ الطاهر طويل رحمهم الله جميعا، ومن أهم أئمة المسجد الذين تعاقبوا على الإمامة تكليفا رسميا أو تطوعا نذكر:

1. الشيخ الإمام العروسي حنافي.
2. الشيخ الإمام موساوي جمال.
3. الشيخ الحسين حامدي.
4. الشيخ كمال ميده.
5. الشيخ الإمام الشيخ مولاي (من أدرار).
6. الشيخ الإمام البشير حوامدي.

7. الشيخ الامام عبد الرحمن كرومي (من ادرار).

8. الشيخ الامام مبروك دحاني.

9. الشيخ الإمام المهدي شوكره (من أدرار).

2-3- ترجمه لأهم ائمة المسجد العتيق بسيدي عون:

1.3.2. ترجمة للشيخ العربي بن عمار (صالح): هو الشيخ المربي، المعلم، الفقيه، الأديب، الشاعر، المتصوف، العربي بن أحمد²⁶ بن صالح بن عمار بن رمضان بن العيد بن عبيد، ولد سنة 1924م بقرية سيدي عون، يعود نسبه الى أشراف أولاد عبيد في توزر، نشأ في بلدة سيدي عون ودرس في زاويتها، وبعد وفاة أبيه سنة 1929، انتقل مع أمه إلى توزر، ومكث بها ثلاث سنوات متنقلا بين زوايا المنطقة بين توزر ونفطة، حيث درس في زاوية سيدي المولدي²⁷، وزاوية سيدي أبي علي السني²⁸ في نفطة، وفي سنة 1936 انتقل إلى باب جديد بتونس العاصمة، ودرس في كتّاب²⁹ سيدي أبي العظام وأتم فيه حفظ القرآن كاملا، وفي سنة 1939 انتقل إلى جامع الزيتونة وأكمل دراسته به حيث تحصل على الشهادات الثلاث³⁰: الأهلية والتحصيل وشهادة العالمية في الآداب سنة 1947.

بعد هذه الرحلة العلمية عاد إلى مسقط رأسه بزاوية سيدي عون ودرّس بها خمس سنوات، وعمل بها إماما لمسجدها العتيق وأسس المدرسة الحرة، ولكن السلطات الاستعمارية لاحقته فأجبر على مغادرة البلدة متوجها إلى تونس سنة 1951م، أين استكمل دراسته العليا المكلمة للأستاذية، مشغلا في نفس الوقت مدرسا لأبناء البايات، كما درّس عاما بجامع الزيتونة، ليتحصل على الجنسية التونسية سنة 1955 انضم بعدها إلى الحزب الحر الدستوري التونسي³¹، وفي سنة 1956 تم تعيينه بشكل رسمي في وظيفة التدريس في التعليم العمومي، وعمل في عدة مدارس في الكاف ومنزل بوزلفة والحلفاويين وأخيرا بالعاصمة حتى إحالته على التقاعد سنة 1987م، مكث في بيته بحي باردو بالعاصمة يفسر القرآن ويقرض الشعر حتى وفاته بعمر 97 سنة متأثرا بوباء كورونا في 2 فيفري 2020 ودفن بمقبرة سيدي صالح، دائرة قصر السعيد، بلدية باردو.

ترك الشيخ العربي بن عمار العديد من المخطوطات منها ما طبع ومنها ما هو مخطوط إضافة إلى العديد من المقالات والقصائد التي نشرت في المجلات التونسية والجرائد منها جريدة الصباح التونسية وجريدة النهضة ومجلة جوهرة الإسلام ومجلة الهداية ومن مؤلفاته:

- ديوان شعر عنوانه "بلّ الصّدَى" ذو 4500 بيت من الشعر الموزون، يتناول مختلف الأغراض الوطنية والاجتماعية والعلمية والغزلية والصوفية وهو مختصر من 6600 بيت تم طبعه سنة 2002 بتونس من طرف الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.

- ديوان "السراج الوهاج في تشطير البردة والمنهاج" ويشتمل على 340 بيت تم طبعه سنة 2004 بتونس من طرف الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.

- تفسير القرآن للقرآن الكريم في ثمانية مجلدات تحت عنوان "الروح والريحان من رياض تفسير القرآن" وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب الوطنية التونسية ولم يطبع بعد.

- مخطوط "تنوير الأفكار بتحقيقات أولي الأبصار" لم يطبع.

- مخطوط "القول الملهم في توضيح ما في القرآن من المبهم" لم يطبع.

- مخطوط "صفحات من أحكام الحج والعمرة".

2.3.2. الشيخ علي الطويل³²: هو الشيخ علي بن حمد بن الطويل المصعبي الشبابطي، ولد خلال 1910م بقرية الخبنة بلدية الرقيبة، نشأ في عائلة دينية محافظة متمهنة زراعة النخيل وتربية المواشي في الواحات الصحراوية بسوف، تعلم القرآن وحفظه على يد أبيه الامام حمد الطويل، ثم التحق بمدارس جمعية العلماء المسلمين، وبعدها التحق بجامع الزيتونة أين تحصل على شهادة العالمية، ثم أخذته الرحلة الى جامع الأزهر بالقاهرة، وهناك اجتاز امتحان الدخول، وانظم الى جماعة الاخوان المسلمين، وحاول الالتحاق بفلسطين مدعيا الحج لكن السلطات الانجليزية القت عليه القبض وقامت بتعذيبه وترحيله الى صحراء ليبيا، وبسبب هذه الأحداث والظروف القاهرة عاد الى وطنه بعدما قضى في غربته سبع أشهر، عمل بعدها مدرسا في معاهد جمعية العلماء عبر ولايات الوطن.

أنظم الشيخ علي طويل إلى صفوف الثورة التحريرية من خلال التجنيد في المنظمة المدنية مدرسا وداعما لها بالدعوة إلى التجنيد في صفوفها ونشر الوعي بين الشباب، وبسبب هذا النشاط عملت السلطة الاستعمارية الفرنسية على ملاحقته حتى تمكن جيش الاحتلال الفرنسي في تونس من القبض عليه في منطقة أم العرائس وقامت بسجنه وتعذيبه ولم يفرج عنه إلا بعد الاستقلال.

بعد الاستقلال عمل الشيخ بالإمامة في المسجد العتيق بالرقيبة ولكن لم يستمر بها بسبب وقوع مشكلة مع بعض أتباع الطريقة التيجانية حول مسألة الإمامة في مسجدها وصلت إلى اتهامه بإثارة الفتنة في القرية أوصلته الى القضاء حيث تم تبرئته منها بعد ذلك، وقد اختار بعدها التوجه الى بلدة سيدي عون سنة 1964، اين أصبح اماما لمسجدها العتيق الذي أكمل به حياته اماما وخطيبا وداعيا الى الخير حتى سنة 1990 حيث عانى من العجز والمرض فقدم ابنه الشيخ الطاهر طويل لتولي الامامة والتدريس بالمسجد، حتى وفاته في 05 مارس سنة 1990م.

3- دوره الديني والتعليمي والاجتماعي:

3-1- الدور الديني والتعليمي: يعتبر المسجد من أقدم المؤسسات الدينية التعليمية الإسلامية المنتشرة في كل مكان يعرف التجمعات السكانية للمسلمين، والمسجد هو منارة العلم والحضارة، ومكان للعبادة، ومجمع المسلمين ومنشطهم ومركز أساسي للحياة الدينية والعلمية والثقافية، وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ تنتشر حوله المساكن والبيوت والأسواق والكتاتيب.

تبنى المساجد من أموال التبرعات الخاصة للمواطنين والمتبرعين والجمعيات الخيرية غير الحكومية الغير المدعومة من خزينة الدولة، كما كانت تخصص بعض من أموال الأوقاف لبناء المساجد والزوايا، وهناك فرق بين المسجد والزاوية، فالزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار للضيافة، ولكل زاوية مسجد أو قبة تهتم بالتعليم وإعانة الطلبة وإيوائهم، والمسجد هو المكان الذي تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة وقد يكون تابعا لزاوية معينة أو منفصلة عنه، وكثيرا ما نجد للزوايا مساجد تابعة لها³³.

والمسجد العتيق في سيدي عون أصله مقام ولي صالح وعزلته الذي كان يقيم فيه الصلاة ويتلو فيه القرآن، حتى تجمع حوله الناس باستضافته لهم، وتحول مع مرور الزمن الى زاوية علم عامرة تدار من طرف أئمة الأوائل الذين كانوا يقيمون فيه الصلاة ويعلمون القرآن، فلعب بذلك دورا دينيا مهما، فأقيمت فيه كتّاب لتعليم الأطفال الصغار القرآن، والكتاتيب تعتبر من أكثر المؤسسات التعليمية انتشارا في الأرياف وتسمى الشريعة وأيضا في المدن وتسمى المسيد³⁴، وكنا نسميها عندنا بالحلقة التي يشرف عليها العم سيدي، معلم القرآن أو ما يعرف بشيخ الكتّاب أو الطالب الشيخ الذي يقوم على تهيئة الحجرة وفرشها³⁵، يقتصر دور الكتاب على تعليم الأطفال الصغار مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن، تكون

مقراتها في الدكاكين أو في حجرات المساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس وذلك تجنباً لضوء الأطفال والحفاظ على نقاوة المساجد وهدوئها أثناء تأدية الصلاة³⁶.

فكان أطفال القرية يتعلمون فيه القرآن، حتى أن أهل البلدة كانوا يهتمون بتعليم الأطفال وكانت جماعة المسجد والقائمين عليه يفرضون غرامة ويعاقبون كل عائلة تمنع أطفالها من التعليم القرآني، خاصة المستقرة منهم، وفي حالات الهجرة، تأخذ العائلات أولادها معهم، ومن أشهر معلمي القرآن في المسجد الذين وقفت عليهم منهم أولاد عبيد من سي عمار، وسي سالم بن عمار وسي عباس، وسي صالح، وسي أحمد بن عمار، والشيخ سي أحمد العايب، والشيخ سي محمد العيد حنافي، وسي المولدي فايز، والشيخ محمد بن العروسي بيطه، والشيخ العربي بن عمار صالح، والشيخ علي طويل، وابنه الشيخ الطاهر طويل، وبعدهم استمر إلى اليوم حيث أقيمت بجانبه مدرسة قرآنية، ولقد درست شخصياً في كتاب المسجد العتيق سنوات الثمانينات، حيث كانت تقام حلقات التحفيظ والتدريس.

إضافة إلى ذلك فقد احتضن المسجد الطرق الصوفية التي انتشرت في البلدة بداية بالطريقة الرحمانية العزوزية، وزاويتها التي تعرف في سوف باسم مؤسسها "سيدي سالم العايب"³⁷، أسسها في مطلع القرن 19م، وقد قامت منذ نشأتها بدور حضاري وتعليمي بارز في سوف وما جاورها، استقطبت الطلبة من كامل وادي سوف، وكذا المناطق المجاورة من النمامشة ووادي ريغ وغيرهما³⁸، ومنها سيدي عون فقد كان لها مريدون للطريقة التي تنسب إلى الشيخ محمد بن عزوز البرجي³⁹ وجاءت من كوينين والزقم، أخذ الشيخ محمد بن عزوز البرجي⁴⁰ التربية والسلوك والإجازة من شيخ الرحمانية محمد بن عبد الرحمان الجرجري الزواوي القشتولي الأزهرى، أكمل على يد خليفة الشرق باشا تارزي، ثم أسس زاويته وخلوته في بلدة البرج قرب طولقة ببسكرة، فخرج على يده طلبة وشيوخ أسسوا بدورهم زوايا أخرى منهم (علي بن عمر بطولقة، عبد الحفيظ الخنقي بالخنقة، الصادق بن الحاج بالقصر احمر خدو، الصادق بن رمضان بسيدي بركات، على الجروني بسيدي خالد، المختار بن خليفة بأولاد جلال)، ومن خلال الزاوية المختارية تخرج الشيخ القاسمي وأسس زاوية الهامل ببوسعادة، ومن زاوية علي بن عمر تخرج الشيخ سيدي سالم وأسس زاوية واد سوف، ومن خلالهم تأسست زوايا أخرى، وبعد انتقال مصطفى بن عزوز إلى الجريد تأسست زاوية نفطة⁴¹، ومن نفطة أخذ بعض العوانية الطريقة ومنهم من عميرة البداة أبناء سيدي محمد الصغير بن أحمد الراشد وكذلك الصغاية أبناء سيدي إبراهيم بن أحمد لراشد بن سيدي عون، وانتشر اسم العزوزي والعزوزية.

وأيضاً انتشرت في المسجد الطريقة القادرية من خلال المهاجرين العوانية في الجريد التونسي وخاصة في نفطة أين احتكوا هناك بشيوخها ونشروها بالبلدة وكذلك ممن عمل بالتجارة وتعامل مع أتباع الطريقة في بلدة عميش وتعرفوا على الشيخ الهاشمي الشريف، ومن بعده ابنه عبد العزيز بعد تعيينه خليفة على رأس مشيخة الزاوية القادرية في سوف مع ملحقاتها في كل من توغرت وبسكرة وسكيدة والجزائر العاصمة، ولقد عثرت في أرشيف المسجد العتيق بسيدي عون على أقدم مخطوط لمصحف يعود تاريخه لسنة 1309هـ/1892م مكتوب بخط اليد عبارة: "هذا المصحف يعود لصاحبه الشيخ محمد بن الساسي المكنى الجعدي بن محمد بن عبيد النفطي متوطن توزر"، وهو دليل على العلاقات التي كانت تربط زاوية نفطة القادرية بزاوية سيدي عون، أخيراً وفي أربعينات القرن الماضي انتشرت الطريقة التيجانية بسيدي عون حيث زارها أكثر من مرة شيوخ الطريقة التيجانية بسوف، كما كان بها عدة مريدين بالبلدة وصل بعضهم

الى رتبة المقدم مثل الشيخ عون مكاي حيث اشرفوا على المسجد العتيق منهم من عرش البراهمية الشيخ لمين وميده وحنافي، وابنائهم الجيلاني وأحمد التجاني ميده والشيخ العربي ميده وغيرهم. رغم الاختلافات فيما بينهم في الممارسات الدينية والصوفية الا أنهم تعايشوا فيما بينهم، فعلى سبيل المثال كانوا يؤدون الصلوات الخمس وصلاة الجمعة جنبا الى جنب، وبعد صلاة الجمعة كان مريدو الطريقة القادرية يقيمون وردهم بعد الظهر⁴² ومريدو الطريقة التيجانية بعد العصر⁴³ في المسجد العتيق والوحيد في البلدة.

كان المسجد على مر تاريخه مقاما لإحياء المناسبات الدينية في الموالد والأعياد، وقد شهدت ذلك في ثمانينات وتسعينيات القرن الماضي، حيث كان الناس يحضرون الطعام ويشعلون الشموع، وتقام المدائح الدينية، ويجتمع الشيوخ لإلقاء الدروس في باحاته، فتعقد فيه ايضا عقود القران وحل الخصام والعزاء وغيرها.

ولقد كتب في مدح الزاوية الأستاذ ابراهيم مكاي رحمه الله قصيدة قال فيها :

إلا أنني اليوم بالزاوية	واني بها الشعر والزاوية
تغنيت في بهوها بالشباب	وألبستها حلا زاهية
وعطرت أعيادها بالنشيد	زمانا بقبثها الباهية
فكان لصوتي الرنين الجميل	وكانت له النبرة السامية
أيا نزلا ضم في الخالدين	وليا تقيا وربانية
جرى دمه في بنيه فاضحت	لهم همم كا الذرى عالية
لهم ما لهم في ضمير الزمان	من الصيت والشهرة الوافية
فهم مثل في الورى صالح	وهم يعملون إلى الباقية
فلم تلههم طيبات الحياة	عن الله أو تلههم جارية
ولم تلههم شطحات الكسالى	نصيبهم في الدنى الحالية
تعاونوا في الله مثل أبيهم	فسمو بحق عواينية
بسا تينهم كا الجنان اخضرارا	وماؤهم الفضة الصافية
ونخلهم في السماء تعالت	عراجينها حلوة شافية
وبنيانهم عربي الطراز	تتوجه القبيب الواقية
وأبناؤهم كا النجوم تحلوا	با نوار ربهم الهادية
فهم للجزائر خير الرجال	وعدتها واليد الحانية
وجوهم سمحة الصفحات	وأيديهم طلقة دانية
تربوا على الجود إن لهم	مدى الدهر فيه اليد الكافية
كلوا واشربوا أيها الزائرون	هنيئا بداركم الثانية
وعبوا بصدق من البركات	فأنتم ضيوف على الزاوية

ويقول فيها الشيخ العربي بن عمار:

سيدي عون يأبن خير كم رأى الناس فيك خير السجايا
الزوايا أنت جدي لك معمق دون حد ومثله من دعايا

لقد قلح بليل مسجد العتيق بسيدي عون منذ تأسيسه بالدور الديني والتعليمي بشكل كبير ومؤثر من خلال احتضانه للأئمة والشيخوخ الذين ساهموا في الحركة الاصلاحية والدعوية في التربية والتعليم خلال الفترة الاستعمارية، حيث قادوا المقاومة الثقافية ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية في المنطقة، التي عملت على طمس الهوية الوطنية للجزائريين من لغة ودين، فعمل هؤلاء العلماء على نشر التعليم الأصلي والمحافظة على الهوية في تعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن وتدریس مختلف العلوم الشرعية والمعرفية، الأمر الذي حال دون تحقيق الاستعمار لأهدافه في المنطقة، وزرع في سكان البلدة قيم المقاومة فخرج منه عديد المجاهدين الذين واجهوا الاستعمار لفرنسي بالقلم والبنديقية، فمنهم من استشهد على غرار الشهيد قريشي بشير وبحري مختار والشهيد غبش عبد الكريم والشهيد دوال عمار وغيرهم.

3-2- الدور الاجتماعي: المسجد العتيق اجتماعيا هو بداية عمارة البلدة وساكنتها، وبه نشأت ومنه عمرت، فمنذ خروج سيدي عون الحفيد من الزقم وتحوله إلى منطقة الطريفاي، حيث بعد وفاة سيدي عون الولي الصالح وقعت مناوشات بين أحفاده فأضطر سيدي عون الحفيد ابن أحمد الراشد ابن سيدي عون الولي الصالح على ترك اللجة هو وأخته هنية وذهب واستقرا قرب بقايا الوادي الذي كان يمر على وادي سوف سابقا قرب ما يعرف الآن بالقرية الطريفاي⁴⁴.

اتجه بعدها سيدي عون الحفيد الى منطقة الشقيقة الشمالية ليؤسس مسجده الخاص الذي تحول مع مرور الزمن الى حاضرة، بعدما عمرت المنطقة من ذريته وما وفد إليهم من الساكنة المجاورة والبعيدة وارتبطوا معهم بعلاقات مصاهرة ومجاورة، واصبحت اليوم بلدية⁴⁵.

ولقد كان المسجد عبر تاريخه يمثل قلب البلدة، تحيط به مقبرة، وسوق تجتمع فيها القوافل، وحولها أولى المساكن التي بنيت والحي الذي عمر واسمه حي الزاوية القديمة وكان به دكاكين منها حانوت ملتصقة بصباط لصالح محي، وحانوت العربي ولد الحاج التيجاني، وحانوت الحاج لمين، وحميده صغيري، وشرقها طريق صغير محاط بها دكانين على الجانبين، منها حانوت حدادة لبشير هائشة من أولاد حمد، وكانت المنطقة بين الجامع والضريح تذبج الذبائح وتوزع التوزيعة على المحتاجين وغيرها، أما المذبح الأساسي كان في المقبرة الظهر اوية، التي كانت مكان تعرض فيه الابل و يجتمع فيه الناس⁴⁶.

والمسجد العتيق كان جامع أهل البلدة تحت سلطة الجماعة، وهو النواة الأولى للبلدية، وهي المجلس الحكم المتكون من وجهاء القرية وشيوخها⁴⁷، من كبار عميرة العوانية⁴⁸ والبراهمية⁴⁹ وعلماء أولاد عبيد⁵⁰ والذين تولوا الامامة والتدريس في المسجد العتيق، وعملوا على إدارة شؤونها وتسييرها وقضاء الحوائج بين الناس في القضاء وعقود الزواج ومجالس العزاء وغيرها⁵¹، وكان أفراد الجماعة يتفقون على تعيين سيد الجماعة⁵²، ومن بين كبار الجماعة نذكر موسى بن عون، وأحمد بن ابراهيم³⁴، ومن أولاد عبيد سي عباس وسي صالح، وأشهرهم قاضي قضاة الصحراء الشيخ بوسكاية بن موسى بن عون بن أحمد الراشد بن سيدي عون الأكبر عاش في بداية القرن 19م قاضي قضاة الجنوب الشرقي المعين من مشيخة العرب ببسكرة تولى القضاء الشرعي في المنطقة وأمه من تغزوت لقبته ببوسكاية ذلك أنه لما حملته دعت له

وقالت " يجعلك كي السكاية" والسكاية هي الهلال الذي يوضع فوق القبة أو قوس شوكة العقرب، يقال أنه قتل مسموما من خصومه ⁵³.

كان المسجد تحت رعاية الزاوية التي اجتمع حولها الناس في البلدة وخارجها، على غرار زوايا الأولياء الصالحين والأشراف كان الناس يأتون إليها للتقرب والتبرك ويدفعون الأموال العينية والنقدية لشيوخها وأبناء سيدي عون تقربا منهم وطلبا للحماية باعتبار أن قطاع الطرق والسلطة يحترمونهم ولا يأخذون منهم الغرامة، وهذا حسب الوثيقة ⁵⁴ الخاصة المرسلة من الباي صالح الى سيدي عون بن أحمد بن المهلهل التي جاء فيها:

تحرير من الباي صالح

الى سيدي عون بن احمد بن مهلهل

" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

ليعلم من يقف على هذا الامر الكريم ب الواضح الجسيم العلي شأنه النافذ حكمه وأمره من العمال والقواد والمتصرفين في نواحي سوف وتقرت من العرب والأحفاد انا أنعمنا على المكرّم الرجل العابد الزاهد الشيخ السيّد عون بن احمد بن مهلهل البليلى ثم الطّوري على انا انعمنا عليه وحررنا له زاويته التي في الطرفي ظهرة سوف بأنا حررناه وأبنائه وهم محمد وبلقاسم وابراهيم وموسى وعلي وعمّار وأبناء أخيه المرحوم سي ابراهيم وسي أحمد وبوبكر وأحمد وبلقاسم، حررنا الجميع من المطالب المخزنية والوظائف السلطانية أحد من مشايخ تقرت ولا من مشايخ سوف ولا من مشايخ العرب"

كتب في أوائل شعبان المعظم سنة 1102 هـ/1792م.

وفي التراث الشعبي لأهل البلدة ارتبط المسجد العتيق بالحكايات و الأساطير والقصص الشعبية التي مازال أهل البلدة في سيدي عون يتداولونها ينقلها الأجداد للأحفاد بأن الولي الصالح سيدي عون صاحب الضريح له كرامات تحمي سكان البلدة من الآفات والشرور وأنه دعا بالخير للقرية لا يصيبها مكروه، كما كان الضريح لسنوات قريبة مزارا للعائلات والناس من كل مكان يقيمون عليه الوعدات ويحيون فيه المناسبات الدينية على غرار المولد النبوي الشريف وحفلات الختان وغيرها من الطقوس والمهرجانات.

خاتمة:

في نهاية عرضنا للمقال، ما يسعنا الا أن نقول بفضل المسجد العتيق في عمارة البلدة ونشأتها، وحركتها التعليمية والدينية، فهو يمثل قيمتها التاريخية والأثرية، حلي بنا أن نعيد له اعتباره، فكم احتضن من شيوخ علم ومعلمي قرآن وائمة كان لهم دور في التعليم القرآني في المنطقة، وكم احتضن من مناسبات دينية واجتماعية فاعلة، يجمع الناس في المناسبات منذ تأسيسه، إن الواجب الانساني يحتم علينا الاهتمام بالتراث المادي والحفاظ عليه كجزء من هوية المجتمع، المعبر عن أصالة الأمة الوطنية، وينصب هذا الاهتمام بالحفاظ على المكتسبات العمرانية للأجداد، من مساجد أثرية وزوايا وعمران عتيق ذو طابع تقليدي بما يحمله من قيم العراقة والاصالة، الذي تركه السلف للخلف، ولأن التراث المادي يشكل ملكية عامة للشعوب وحق من حقوقها الفكرية والثقافية.

للأسف لقد تراجع دور المسجد العتيق اجتماعيا وتعليميا، وأصبح مكان لأداء صلوات الخمس، وصلاتي والجمعة والعيد، فحتى مجالس عقد القران والعزاء أصبحت تقام في قاعات خاصة، واندثرت مظاهر الاحتفاء بالأعياد الدينية والموالد، وتحول الى حلبة صراع بين المذاهب في السابق، وتحول الامام

فيه الى مجرد موظف يعمل بعمله المنوط اليه فقط لا أكثر، واصبحت باحاته خالية من الدروس والندوات وجلسات التعليم والحديث، وفقد رسالته التي كان يقوم بها منذ تأسيسه، وتغيرت ملامحه العمرانية المادية واللامادية.

يعتبر المسجد العتيق بسيدي عون اثر مهم جدا من الناحية التاريخية والتراثية حيث يحفظ ضريح مؤسس البلدة التي تنحدر منها أصول سكان البلدة فهو المحافظ على هويتها ونسبها واصولها الأولى المرتبطة بهذه الأرض بهويتها وتراث اجدادها الأوائل، كما أنه يربط سكانا البلدة بأرضهم ووطنهم، واجبنا اليوم التعريف بالتاريخ المحلي للأجيال القادمة لكي نقدم لهم نظرة حول أصولهم وتاريخ أجدادهم لزيادة تعليقهم واعتزازهم بهذه الأرض دعما للهوية الحقيقية والحفاظ عليها من مخاطر العولمة والانفتاح الذي يفقد الشخص هويته.

يعد مسجد سيدي عون من أقدم المواقع الاثرية في سوف وهو دليل مادي حقيقي على قدم التواجد والتجمع البشري في صحراء سوف والذي بالرغم من تعرضه للتجديد الا أنه مازال قائما وشاهدا أثريا. وباعتبار المسجد بيت الله وهو مؤسسة دينية اجتماعية تؤدي خدمة عمومية هدفها ترقية الدين الإسلامي والحفاظ عليه فقد عمل القائمين عليه على تحقيق اهدافه ووظائفه على أكمل وجه وعلى النحو التالي:

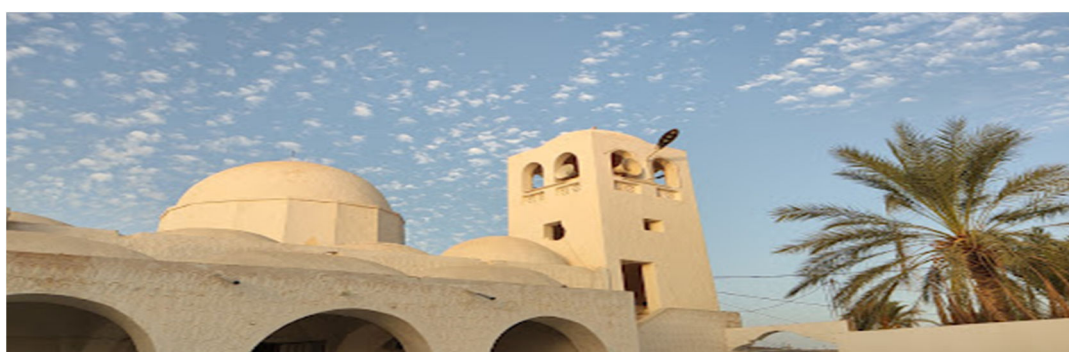
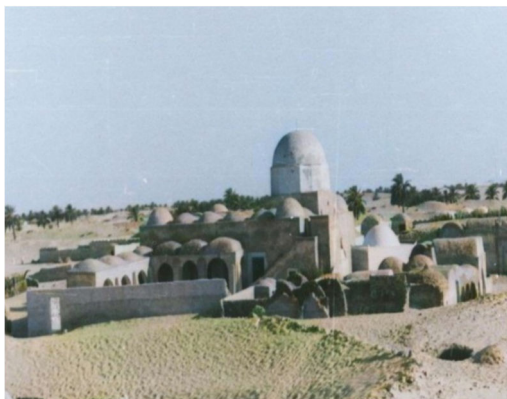
- 1- **الوظيفة الروحية التعبدية:** من خلال إقامة الصلوات المفروضة وصلاة الجمعة والعيدين وصلاة التراويح باستقدام افضل الأئمة والمقرئين.
- 2- **الوظيفة التربوية التعليمية:** من خلال افتتاح المدرسة القرآنية لتحفيظ القرآن وتدرّس العلوم الشرعية وقد ضمت المدرسة القرآنية الخاصة بالمسجد العتيق بسيدي عون أكثر من 100 طالب قرآن من الجنسين بمختلف الأعمار.
- 3- **الوظيفة التنقيفية:** بدأ العمل مؤخرا من طرف جمعية المسجد المنصبة حديثا على إعادة إحياء النشاط المسجدي بإقامة ندوات فكرية وأمسيات قرآنية نشاطها كبار الأئمة والقراء بسوف منهم الشيخ المقرئ عبد الفتاح حميداتو والشيخ الإمام النذير بن موسى وكذلك الشيخ الدكتور بشير حوامدي والدكتور عبد القادر مهاوات.
- منها على سبيل المثال وبمناسبة مولد خير البرية محمد بن عبد الله ﷺ احتضن المسجد العتيق محاضرة مسجدية تحت عنوان "الطريقة المثلى لدراسة السيرة النبوية" من تقديم فضيلة الشيخ البروفسور عبد القادر بن خليفة مهاوات أستاذ محاضر بجامعة الوادي وكان ذلك يوم السبت 07 ربيع الأول 1445هـ الموافق لي 23 سبتمبر 2023، كما اقيمت مسابقة المؤذن المثالي التي شارك فيها طلبة القرآن بمختلف الأعمار، وتم انشاء متحف خاص بالمسجد يضم عدة مخطوطات للقرآن الكريم ومختلف الكتب، وتعمل الجمعية على احياء التراث المادي واللامادي للمسجد بإقامة معارض وندوات خاصة بذلك.
- 4- **الوظيفة التوجيهية:** ويعرف المسجد إقامة دروس مسجدية توعوية وتعليمية من طرف عدة اساتذة وخطباء، منهم إمام المسجد العتيق شوكره رمضان ومعلم القرآن الشيخ المقرئ منير فرجاني، كما عمل القائمون على الجمعية المسجد على احياء المناسبات الوطنية والدينية لحماية الهوية والوحدة الوطنية والاسلامية مثل الندوة التي اقيمت دعما للقضية الفلسطينية منها الندوة الفكرية " فضائل المسجد الأقصى في القرآن والسنة" من تنشيط كل من أ.د/ كمال قدة أستاذ الشريعة وأ.د/ يوسف عبد اللاوي أساتذة التعليم العالي بكلية الشريعة جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي يوم 08 مارس 2024.

5- الوظيفة الاجتماعية: حرص القائمين على المسجد على أن يكون منبرا لإصلاح ذات البين، والدعوة الى الخير والمساهمة في الحملات التوعوية من الآفات الاجتماعية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

التوصيات:

1. ضرورة اعادة الاعتبار للمساجد العتيقة والاهتمام بها ماديا ومعنويا، في ترميم ما ضعف منها وتصنيفها كتراث مادي .
2. العمل على احياء التراث التاريخي للمساجد العتيقة من خلال بعث روح التعليم والتدريس وعقد الندوات التعليمية داخلها .
3. احصاء المساجد العتيقة والتعريف بها من خلال وضع بطاقة تقنية توجيهية ورصد مواقعها الكترونيا .
4. إعادة الاعتبار للخطاب المسجدي وتجديده بما يخدم الواقع الاجتماعي والشبابي.
5. استغلال الخطب المسجدية في المناسبات الدينية كالجمعة والعيد في توجيه المجتمع الى العقيدة الصحيحة وتحذير الشباب من تيارات العصر العاصفة والمقسمة للمجتمعات والمشوهة للهوية والدين.

الملاحق:



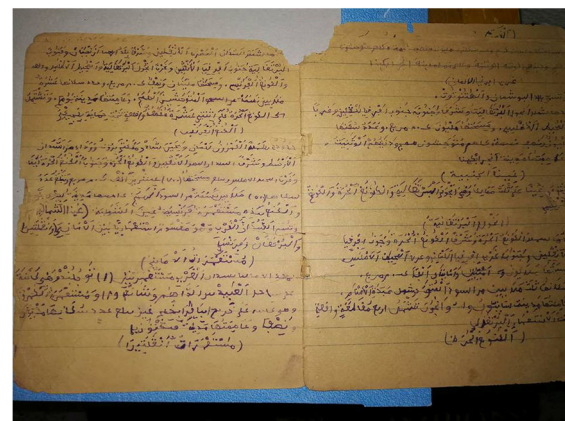
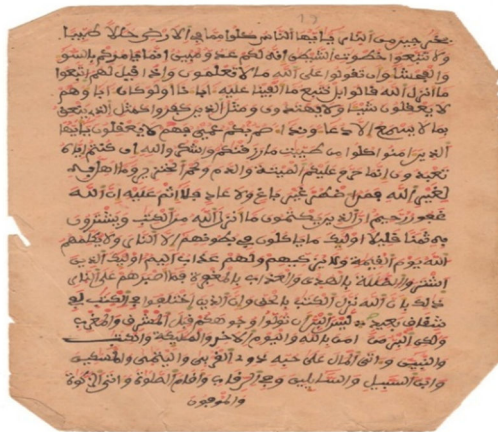
صورة في أزمنة مختلفة للمسجد العتيق بسيدي عون



الشيخ الامام الطاهر طويل رحمه الله



الشيخ الامام علي طويل رحمه الله



صورة الأستاذ الشيخ العربي بن عمار صالحى رحمه الله مع وثائق بخط يده

الهوامش:

- 1- جبر فلاحن عمارة المساجد، دراسة معمارية قانونية للمسجد في الجزائر، مدينة وهران أنموذجاً، تع: أمين مصرني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص 219.
- 2- رشيدة شدرى معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر (2006/2005)، ص 76.
- 3- سعيد التل، مقدمة في التربية السياسية لأقطار الوطن العربي، عمان، دار اللواء، 1987، ص 81.
- 4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 247.
- 5- محمد العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م، ص 23.
- 6- محمد بن محمد بن عمر العدواني، الرحمانى السوفى اللّجى، رحالة، متصوف، مؤرخ، عاش خلال منتصف القرن 11هـ/17م، اشتهر بكثرة سفره وتراحاله بين سّوف والمناطق المجاورة لها كمنطقة الزيبان "بسكرة" ووادي ريغ "تقرت" ومنطقة الجريد "تونس"، كما قام برحلات إلى المشرق العربى من أجل اكتساب العلم، فرفق الشيخ البكري مدة كبيرة وأخذ منه العلم والتصوف، حيث زار ضريح الولي الصالح الشيخ عبد القادر الجيلالي ببغداد، ويذكر العدواني أيضا على أن الشيخ البكري قد نصحه بالعودة إلى وطنه سّوف لتفقيه وتعليم الناس أمور دينهم وديانهم، خلف الشيخ العدواني عدة مخطوطات أهمها كتاب "تاريخ العدواني" وكتاب "صحراء قسنطينة".

- 7- مصطفى سامي، الدر المصفي في تقايد سيدي مصطفى، مخطوط بزاوية سيدي سالم العائب بواد سوف، نملك نسخة منه، ورقة 15.
- 8- علي الشابي، مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية، المجلة التاريخية المغاربية، العهد الحديث والمعاصر، العدد 13، 14، مطبعة الاتحاد التونسي للشغل تونس، جانفي 1979، ص 62.
- 9- محمد المسعود الشابي، من ابرز دعاة وشيوخ الطريقة الشابية، ولد في توزر سنة (970هـ/1562م)، ونشأ بها حيث حفظ القرآن الكريم بالجامع الكبير من كبار علماء الجريد منهم محمد التواتي، وتلقى أصول الفقه والتصوف من عدة شيوخ أمثال الشيخ بدر الدين الشابي والشيخ عبد الحفيظ، خاض بعدها رحلات عملية وصوفية، داعيا للطريقة الشابية حيث أسس زاويته المشهورة بششار وظل يتردد على بلاد سوف في الفترة (1021هـ/1612م) و(1028هـ/1618م)، وكان في نشاطه الدعوي يجيز ويعلم يدعو إلى الله والصلاح توفي في زاويته وقبره هناك سنة 1618م، ومن ابرز مؤلفاته: الفتح المنير، الدر الفائق، المقرب المفيد وغيرها، واصل أبناؤه بعد طريق الدعوة في سوف وعدة مناطق في تونس والجزائر ومن ابرزهم علي الشابي (1074هـ/1663م)، أحمد الصغير (1068هـ/1657م).
- 10- هناك عدة روايات حول اصل التسمية ومعناها فكلمة " التلمود " بتشديد التاء مشتقة من فعل تلمط التي تستخدم لصناعة الطين وتعني استرخى واصبح رخوا بعد خلطه بالماء وتغيرت اللفظة إلى تلمد، وقيل تلم من التلمة ولها معنيين " الشق الذي في الحائط" ويقال له باللهجة المحلية " شلخ" وتعني أيضا من بقي من الإناء "فضلة"، ولفظ التلمود تعني عند رباع سوف الحضرة الصوفية، وفي الاجماع تعني اللمة أو الجمع والجماعة والمسجد مكان يجتمع فيه الناس، أنظر: علي غنايزية، تاريخ المسجد العتيق بكوينين المشهور بالتلمود، دار الشفاء، الجدة، الوادي، 1997، ص ص 3-5. أنظر أيضا: مساجد كوئينين، مجموعة من المؤلفين، دار سامي للطباعة والنشر، 2018، ص 39.
- 11- محمد المسعود الشابي، الفتح المنير في التعريف بطريقة الشابية وما ربوا به الفقير، تح: عثمان البرهومي، جمعية الشابية للتنمية الثقافية والاجتماعية، تونس، ط1، نوفمبر 2020، ص 67.
- 12- علي بن محمد المسعود الشابي: مناقب الشيخ محمد المسعود الشابي (970هـ/1562م-1028هـ/1663م)، تح: عبد الله الشابي، راج علي الشابي، جمعية الشابية للتنمية الثقافية والاجتماعية المطبعة المغاربية لطباعة وإشهار الكتب، تونس، ط1، 2022، ص 12.
- 13- إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1161هـ/1611م، ص ص 413-414.
- 14- اللجة هو الاسم القديم لقرى الناحية الشمالية لسوف وقاعدتها قرية الزقم والتي تتكون من قرى (البهيمية، الدبيلة، الزقم) وتعني كلمة اللجة النواحي وللاج يلوج أي يدور ويبعد.
- 15- حوش: كلمة تعني البيت القديم المصنوع من الجبس، شكل الحوش العربي السوفي هو عبارة عن غرف بقباب أو دمسات تبني على شكل مربع في وسطه ساحة أو فناء. يقول الشعر الشعبي في ذلك:
يا حوش ما فيك أمي
بلا ريح داير عجاجة
لا نشكي فيك همي
ولا تنقضى فيك حاجة"
- 16- نظام المشيخة: حيث يتولى شيخ بقيادة البلدة وإدارة شؤونها، وكان في البداية يتفق على تعيينه من طرف أعيان البلدة وبعد الاستعمار أصبحت السلطات الاستعمارية هي من تقوم بتتصيب شيخ البلد وهو موظف تابع للقيادة، حيث كانت مشيخة سيدي عون تابعة لقيادة أولاد سعود بكوينين ينظر إلى علي غنايزية، مجتمع واد سوف، دار هومة، الجزائر، 2017، ص 217.
- 17- الشيخ ابراهيم حساني: ينتسب لعائلة البراهمية تلقب ب (حساني)، وهو الشيخ علي بن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم، ولد سنة 1876م بزاوية سيدي عون، أين نشأ وتربى في بيت حسب ونسب، حفظ القرآن على يد شيوخها، اشتغل بالتجارة ناحية الزاب وكون ثروة وأملاك وبساتين، وأصبح من كبار أعيان البلدة وخارجها حيث ارتبط بعلاقات تجارية وصداقة مع كبار التجار والمسؤولين في المنطقة، واشتهر بكونه مقدما في الطريقة الرحمانية -العزوية-، وبسبب الشهرة والجاه والمعرفة والسياسة، تولى المشيخة سنة 1912م، عرفت مشيخة سيدي عون خلال فترة حكمه أزهى عصورها حيث ازدهرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية، اشرف على إعادة بناء المسجد العتيق في الزاوية سنة 1934م، وقام بإنجاز أول مستوصف ووضع عليه ابنه الصديق وتم تركيب هاتف به، توفي سنة 1947م

- 18- الظهراوية أو الظهرة وهو المنطقة الشمالية أو الحي الشمالي وعكسه الحي الجنوبي ويسمى القبلة، حيث يعتبر حي الظهراوية في سيدي عون أقدم حي في القرية ويسمى اليوم إداريا بحي الزاوية القديمة. يقول الشاعر المحلي المرحوم إبراهيم بن عمارة مكاوي:
- ألا إنني اليوم بالزاوية
وإني لها الشعر والراوية
تغنيت في بهوها بالشباب
وألبيتها حللا زاهية
- 19- **العوانة** من الإعانة وهي طريقة كان يستعملها سكان سيدي عون وسوف عموما وتعني التعاون فيما بينهم في بناء البيوت والمساجد بدون مقابل مادي أو أجر، ويساعد كل واحد منهم بما يستطيع، حيث عندما يريد أي شخص بناء منزل له يستدعي مجموعة من الشباب أو العمال يعملون عنده بالعوانة مقابل وجبة غذاء يعدها لهم فقط.
- 20- مقابلات شفوية مسجلة للعديد من الشيوخ الذين شهدوا على بناء المسجد العتيق صيف 2021.
- 21- **البرطال**: برطال وهي كلمة عربية وليست فرنسية كما يظن البعض (بورتالي)، وتعني البرطل والبرطلة- بتشديد اللام وتخفيفها- ولغة تعني قلنسوة أي المظلة الصيفية، ومعنا اصطلاحا هو الجزء المغطى من الشارع أو الزقاق يبني بالجبس و اللوسة ويسقف بقبة أو قبة، يفتح بقوسين في الممر وتوجد على جانبيه أحيانا الدكات للجلوس فهو بهذا أشبه ما يكون بقاعة جلوس مفتوحة وعمومية متاحة للمارة وغالبا ما ينسب البرطال لعرش ما أو لعائلة ما تكون منازلهم أو دكاكينهم بالقرب منه، وتتنوع وظائفه بين الاجتماعي فهو الفضاء الجامع للأسر المتقاربة والأجوار في الأفراح والمآتم وفيه يجتمع الرجال إما للعب الخربة والخاتم أو لتبادل الحديث والأخبار كما أنه يمثل المكان المفضل لجلوس كبار السن والقيولة خاصة في فصل الصيف وهو منبر لعقد الزواج فتقام فيه مناسبات الأفراح ويجتمع فيه الأئلاء لتعاطي ألعاب شعبية أو تبادل حكايات وخرافات يرويها أحد كبار الحي عادة ويلعب فيه الصبية ألعابهم المفضلة عند غياب الكبار، إضافة إلى الوظيفة المناخية فهو الوافي من حر الشمس ورياح الشهبلي تلك الأزقة الضيقة الحادة والمباني المرتفعة لتوفر الظل للسكان والمارة.
- 22- صغيري سفيان، التطور الإداري لبلدة سيدي عون بوادي سوف (1854-1962م)، على ضوء الرواية الشفوية والمصادر المحلية، المجلد 06، العدد 01، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 2022/10/13، ص 228.
- 23- سفيان صغيري، رشيد قسيبة، "تأسيس بلدة سيدي عون ونشأتها خلال القرن 18م على ضوء المصادر المحلية والرواية الشفوية"، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية المجلد 13، العدد 2، بتاريخ 2022/06/12، ص 228.
- 24- قبيلة أولاد سيدي عبيد الأدرسية الكبرى بأطرافها الثلاثة في الجزائر وتونس وليبيا نسبة إلى الولي الصالح سيدي عبيد بن خذير الشريف شيخ الزاوية العبيدية في قننيس المباركة (بلدية سطح القنطيس ولاية تبسة الجزائر) خلال القرن 14م التي آلت إليه مقاليدها بعد وفاة أخوه الأكبر الشيخ سيدي أحمد بن خذير الشريف والتي آلت إليه هو الآخر بعد وفاة أبوهما الولي الصالح الشيخ سيدي خذير بن عبد العزيز الشريف الذي أسسها في مطلع القرن 12م حيث كانت الزاوية مركز إشعاع علمي وثقافي وديني وجهادي كبير امتد عطائها وصيتها في نشر العلم والطريقة والتصوف والتدين وإصلاح ذات البين إلى وادي ريغ والجريد التونسي وغيرهم إلى أن دمرها الاستعمار الفرنسي سنة 1871 بسبب نشاطاتها المعادية للاستعمار الفرنسي.
- 25- الشيخ بوسكاية بن موسى بن عون بن أحمد الراشد بن سيدي عون الأكبر قاضي قضاة الجنوب الشرقي المعين من مشيخة العرب ببسكرة كان عالم وفقه تولى القضاء الشرعي في المنطقة وأمه من تغزوت لقبته ببوسكاية ذلك أنه لما حملته دعت له وقالت " يجعلك كي السكاية" والسكاية هي الهلال الذي يوضع فوق القبة أو قوس شوكة العقرب، يقال أنه قتل مسموما من خصومه
- 26- أحمد بن صالح: إمام وشاعر ومعلم ولد بقرية سيدي عون سنة 1845م وتوفي بها سنة 1929م وكان من شيوخ الزاوية وأحد أهم علمائها.
- 27- وتعرف بالزاوية القادرية بتوزر باسم سيدي المولدي بو عراقية وهو ابن مؤسسها الشيخ بوبكر بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن أبي الفرج عبد الجبار وفد من نقطة إلى توزر في أوائل القرن 19م وأنشأ الزاوية القادرية الواقعة وسط مدينة توزر في شارع باب الهواء وأسسها سنة 1245هـ وتناوب على وكراتها أحفاد مؤسسها بعد ابنه سيدي المولدي الذي ترك الوكالة من بعده لابنه بوبكر الثاني سنة 1917 ميلاديا ثم تولى الوكالة بعده ابنه الشيخ محمد الهادي سنة 1943 ثم ابنه الشيخ الهاشمي سنة 1961 ميلاديا ثم ابنه الشيخ محمد الهادي 2016 وهو الشيخ الحالي للزاوية القادرية بتوزر.

- ²⁸- نسبة إلى سيدي بوعلي النفطي (493هـ - 1101م / 610هـ - 1213م) المعروف بسلطان الجريد أو بو علي السني واسمه الحقيقي هو أبو علي الحسيني يعود نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب ولقب بالسني لجهاده بالدعوة والفكر والسلاح عن المذهب السني في نفطة وشمال أفريقيا ضد الشيعة والاباضية، تتلمذ عن أبي مدين شعيب وأقام سيدي بوعلي في حياته بزواية الولي أبي يوسف الدهماني تقع زاوية بقلب واحة نفطة الغناء توجد عديد الزوايا التابعة له في ليبيا والجزائر ومالي والمغرب والسودان وموريتانيا.
- ²⁹- **الكتاب والكتاتيب:** هو مكان تعليم القرآن للأطفال بجانب المسجد وتطلق أيضا على المسجد، والكتاب لها تسميات أخرى مثل المسيد وهي كلمة شائعة بين أهل المغرب والمشرق ذكرها كثير من علماء اللغة والبلاغة منهم أبو حفص الصقلي (ت 501هـ) في تنقيف اللسان: (ومن ذلك قولهم للمسجد: مسيد، حكاة غير واحد) وكذلك الزبيدي (ت 1205 هـ) في تاج العروس، فذكر (أن المسيد لغة هو المسجد بلغة أهل مصر، أما بلغة المغرب فهو المكتب أو الكتاب)، وتسمى الشريعة، ويسمها أهل توات بأمصورطة.
- ³⁰- بعد صدور مجموعة من قرارات الإصلاح في التعليم الزيتوني تم استحداث الشهادات الثلاث في سبتمبر 1912: المرحلة الابتدائية (الأهلية) المرحلة الثانوية (التحصيل) المرحلة العليا (العالمية).
- ³¹- أسسه عدد من المبعدين أو المنشقين عن الحزب الحر الدستوري التونسي وعلى رأسهم الطبيب محمود الماطري والمحامي الحبيب بورقيبة، وأصبح يمثل السلطة في تونس بعد الاستقلال سنة 1956 بزعامة الحبيب بورقيبة.
- ³²- الصالحة بوعافية، بشيرة لحيو، الشيخ علي طويل السوفي الجزائري، المتوفي عام 1990، وجهوده الدعوية والعلمية، إشراف الطاهر عمارة لدعم، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2022) إضافة إلى ورقة بحثية (الطاهرة عمارة لدعم: واد سوف بالجنوب الجزائري، رحلات وثمرات علمية ... نماذج مختارة).
- ³³- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج2، ص 413.
- ³⁴- كلمة شائعة بين أهل المغرب والمشرق للدلالة على المسجد أو مكان تعليم القرآن في الكتاب ذكرها كثيرون منهم أبو حفص الصقلي (ت 501هـ) في تنقيف اللسان: (ومن ذلك قولهم للمسجد: مسيد، حكاة غير واحد) وكذلك الزبيدي (ت 1205 هـ) في تاج العروس، فذكر (أن المسيد لغة في المسجد بلغة أهل مصر، أما بلغة المغرب فهو المكتب أو الكتاب)، والصفي (ت 274هـ) في تصحيح التصحيف وتحرير التحريف (قول العامة للمسجد مسيد هو جائز، حكاة غير واحد، إلا أن العامة تقوله بكسر الميم. والصواب فتحها) أنظر إلى: أبو حفص عمر الصقلي، تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار احمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ج1، 1960، ص 2273. صلاح الدين الصفي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، تحقيقي السيد الشرقاوي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987.
- ³⁵- عثمان الكعاك، محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16 الى القرن 19م، معهد الدراسات العربية، بغداد، 1958، ص 66.
- ³⁶- يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19م و 20 م، مجلة الثقافة، العدد 63، 1989، ص 15.
- ³⁷- **سيدي سالم العايب:** هو سيدي سالم بن محمد بن محمد بن نصر بن عطية الشريف من نسل أحمد الزاير بن سيدي المحجوب دفين القيروان، يصعد نسبه الشريف إلى عبد السلام بن مشيش، ولد سيدي سالم بالوادي عام 1186هـ/1772م، وتربى يتيما في حجر والدته واسمها "مسعودة بنت اروحة"، توفي عنه والده وهو في بطن أمه، وأصيب بالعرج في رجله وهو لا يزال رضيعا في مهده؛ فصار يدعى لعرج أو العايب طوال حياته، ورحل إلى نفطة من عمل الجريد لكسب المعيشة، وكانت حرفته صباغا، وذهب إلى تونس؛ ثم رجع إلى سوف حيث ربط علاقاته بزواية طولقة الرحمانية العزوزية، وأخذ الطريقة عن الشيخ سيدي محمد بن عزوز البرجي، ثم أخذ العهد الخلوتي الرحماني العزوزي على العارف سيدي علي بن عمر الطولقي الشريف، لقد كان الشيخ سيدي سالم أميا قليل الثقافة، إلا أنه يتسم بالسمت الصوفي، والخلق الفاضل، مما جعل الشيخ يختاره مقدما على إخوان سوف الرحمانيين، حينئذ ثم قال له، اجعل زريبة أذكر الله تعالى فيها، واجعل أواني لماء الوضوء ففعل؛ ووضع بذلك نواة لزاويته على شكل كوخ من الخوص يدعى في المنطقة بالزريبة، والتي تطورت إلى زاوية في حدود 1236هـ/1820م، تم بناء المسجد في حدود سنة 1830، وبعد ذلك بسنوات شيد منارة (الصومعة الأولى)، حرص الشيخ سالم على إعداد أبنائه والارتقاء بهم في منازل العلم، حتى وافته المنية سنة 1277هـ/1860م، ودفن بزوايته في وسط وادي سوف. (الجبالي عثمان: تاريخ زاوية سيدي سالم وادي سوف).

- ³⁸- الجباري عثمانى: التراث المخطوط بخزان الطرق الصوفية في وادي سوف زاوية سيدي سالم العزوزية أنموذجاً (جرد وإحصاء)، مجلة الذاكرة، المجلد 2، العدد 2، 2017/12/17، ص ص 340-363.
- ³⁹- محمد بن عزوز البرجي (1170هـ - 1232هـ): هو الولي الأكبر والقطب الأشهر الشيخ سيدي محمد بن عزوز ولد بالبرج (برج بن عزوز حالياً) من واحات بسكرة في حدود سنة 1170هـ، ربي في حجر والده الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، وحفظ القرآن العظيم واشتغل بتحصيل العلم، فأخذ منه بغية حتى تحصل في المعقول، وألف تأليف مفيدة، منها رسالة عالية في (قواطع المريد) و(شرح على التلخيص) وغيرهما، ثم اشتاقت نفسه لعلم الباطن، فرحل لزيارة الشيخ الأكبر: سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهرى (صاحب الطريقة الرحمانية)، فأخذ عنه الطريقة وأدخله الخلوة، وفي تلك المدة خفت عن والدته أخباره حيث لا بريد ولا تلغراف، واشتد شوقها إليه وقلقها عليه، فصعدت سطح دارها ونادته بثلاثة أصوات فسمع نداءها وهو في خلوته، وأخبر شيخه بما سمع فأمره بالرجوع إلى والدته، وقال له: إن أدركتني المنية من بعدك فعليك بخدمة الشيخ عبد الرحمان باش طارزي تلميذه دفين قسنطينة، فكان الأمر كما ذكره، ولازم خدمة الشيخ باش طارزي إلى وفاته تمام سلوكه على يده.
- ⁴⁰- نفيسة دويذة: لمحة عن آل بن عزوز البرجي: ريادة علمية وجهاد متواصل، المجلد 7، العدد 1، 2017/01/30، ص ص 117-97.
- ⁴¹- عباس كحول، الطريقة الصوفية العزوزية في الجنوب الشرقي الجزائري والجريد التونسي، مجلة العرفان للدراسات الصوفية، المجلد 2، العدد 1، 2019/06/15، ص ص 79-109.
- ⁴²- للقادرية عدة أورد منها ورد الظهر الذي يسمى الحزب السريانية، حول القادرية ينظر إلى: الحاج إسماعيل بن السيد محمد سعيد القادري، الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، دار أحياء الكتب العربية، مصر، د.ت.
- ⁴³- للتيجانية عدة أورد منها ورد الصباح، صلاة الفاتح، الوظيفة، الهيلة، انظر إلى علي حراز بن عربي، جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أحمد التجاني، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر مصر، 1977.
- ⁴⁴- ابراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1161هـ/ 1611م، ص 412.
- ⁴⁵- صغيري سفيان، المرجع السابق، ص 390.
- ⁴⁶- شهادات شفوية لكبار شيوخ الزاوية، مازالت بعض آثارها لحد اليوم في المساكن القديمة التي لم تهدم بعد.
- ⁴⁷- نظام الجماعة: أو ما يعرف بمجلس الجماعة وهو النواة الأولى للبلدية حيث يقوم على مجموعة من وجهاء القبيلة أو القرية بإدارة شؤونها وتسييرها وقضاء الحوائج بين الناس وغيرها ينظر إلى: علي غنازيرة، مجتمع واد سوف، دار هومة، الجزائر، 2017، ص 212.
- ⁴⁸- عميرة العواينية وهم أبناء الشيخ المؤسس سيدي عون الأصغر.
- ⁴⁹- عميرة البراهمية وهم أبناء الشيخ ابراهيم أخ سيدي عون المؤسس.
- ⁵⁰- أبناء عبيد: يعود نسبه إلى اشراف أولاد عبيد نسبة إلى الولي الصالح سيدي عبيد بن خذير الشريف في توزر حيث نزح أحد أحفاده واسمه عبيد إلى زاوية سيدي عون وتزوج من إحدى بنات سيدي عون الشريف خلال القرن 18م، وعاشت ذريته في القرية ومنهم من رجع إلى توزر.
- ⁵¹- لقاءات متعددة مع الشيخ عثمان بن صالح صغيري من كبار شيوخ الحفاظ للرواية الشفوية بسيدي عون أيام (1-4 سبتمبر 2021).
- ⁵²- روايات سابقة للشيخ المرحوم كمال بن احمد بن عون العايب ومع العديد من حفاظ الرواية الشفوية وما تناقل من مآثور ومنقول.
- ⁵³- لقاءات متعددة مع الشيخ عبد الحكيم موساوي الأستاذ المتقاعد في صيف 2022.
- ⁵⁴- نملك نسخة منها.